

## المتاهات في الرسومات الصخرية العربية الشمالية القديمة

محمد إبراهيم عبانه

أستاذ مساعد- قسم الدراسات السامية- جامعة برلين الحرة

( قدم للنشر في ١١ / ١١ / ١٤٢٩ هـ؛ وقبل للنشر في ١٢ / ٤ / ١٤٣٠ هـ )

**ملخص البحث.** يقدم البحث عرضاً وتحليلاً لثلاث رسوم متاهات عثر عليها في البادية السورية والأردنية وذلك في إطار توثيق الرسومات والنقوش الصخرية العربية الشمالية القديمة، ويناقش البحث التطور التاريخي لرسوم المتاهات من حيث؛ أشكالها ووظائفها فنجدها في الرسومات الصخرية وكذلك مرسومة على الأواني الفخارية والمسكوكات، وتبين أن رسوم هذه المتاهات تعد حسب شكلها من المتاهة الكريتيية (الكلاسيكية)، وتأتي أهمية هذه الرسومات كونها تقدم موضوعات جديدة للبحث في مجال النقوش والرسومات كأحد أهم المصادر في دراسة تاريخ وحضارة شمال الجزيرة العربية. تعد الرسومات المصاحبة للنقوش العربية الشمالية القديمة سجلاً لا يقل أهمية عما تقدمه النقوش نفسها من معلومات تاريخية واجتماعية واقتصادية ودينية وفنية تسجل الحياة اليومية لكاتب هذه النقوش والرسومات. فنجد من رسوماتهم ما يمثل مشاهد الصيد والرعي والحرب والرقص، كذلك الرموز الخاصة بالقبائل والآلهة والرموز الفلكية، وتعد رسوم الحيوانات السجل التوثيقي للتنوع الحيوي في البادية في تلك الفترة. ومما يستوقف البحث فيما يقع ضمن مجموعة الرموز تلك التشكيلات الدائرية التي تمثل رسم المتاهة، فكثيراً ما نشاهد تكوينات دائرية ذات مركز واحد، أو أشكالاً لولبية في تكوينات مختلفة، فماذا تعني هذه الأشكال؟ سؤال يحمل الجواب عنه دلالات فلسفية وفلكية. فالخطوط اللولبية تمثل في الممارسات الطقوسية القديمة الحياة والموت والبعث، ويتمثل ذلك باتجاه الدوران، فمع الشمس الحياة، وعكس ذلك الموت، وفي المركز البعث؛ حيث يتم التبديل. (Hermann 1999: 26, 27) وهكذا تتم الحركة أصلاً بتشكيلات الرقص في طقوس الخصب المرتبطة بدورة الأرض (فصول السنة) خاصة الربيع والخريف حيث التحول<sup>(١)</sup>

المتاهة تكوين هندسي يبني من المصلب تحيط به مجموعة دوائر ذات مركز واحد (يمكن كذلك بناء المتاهة بأشكال غير الدائري كالمربع والسداسي) وتنفصل هذه الدوائر في جزء من محيطها لتشكيل أقواساً تتصل مع بعضها البعض مكونة مداراً دورانياً منعكساً بحركة لولبية تتجه إلى المركز لتنتهي به، فتكون بداية المدار مدخل المتاهة ونهايته مركزها. انظر: Engler 2003: 183). وتعكس الحركة داخل مدارات المتاهة التأثير النفسي والذهني لقوى الطبيعة الكونية، كالجاذبية الأرضية، فالسائر في هذه المدارات نحو المركز - الهدف - في دوران منعكس ومتناقص يحتاج إلى تركيز ذهني ونفسي غير الخارج من المركز نحو الفضاء الخارجي.

لقد شاع فن إنشاء المتاهات في جنوب أوروبا وشمالها وأواسط آسيا والهند وأفريقيا، فنجد هذه التكوينات منقوشة على الصخور أو الأواني، أو مرسومة في بعض الكتب، أو مبنية من الحجارة، أو مشكلة بتنسيقات نباتية في بعض الحدائق، وكذلك

(١) أشكر الزملاء محمد شاويش وسيد عبد الخالق وحاتم مصطفى لما بذلوه من جهد في قراءة هذا النص واقتراحاتهم في تصويب الأخطاء اللغوية وضبطها.

نجدها على والمسكوكات، فالدلالة الحقيقية للمتاهات لا يستطيع أحد في الوقت الحاضر البت فيها (WeiBmann 180: 2002) فرمما جسد هذا الفن المفاهيم الفلسفية والدينية والطقوس السحرية السائدة في المجتمع آنذاك، وقد تطور فن إنشاء المتاهة عبر العصور، فنجد الآن في ألعاب التسلية والألعاب الإلكترونية، وكذلك استخدمت المتاهة في التطبيقات العملية في الطب النفسي، فمثلاً أقيمت لهذا الهدف متاهة في حديقة مركز الطب النفسي في مدينة Münsingen في سويسرا. يتناول هذا البحث نشأة هذا الفن في المنطقة التي وجدت فيها الرسومات وكذلك في المناطق المجاورة وذلك لاعتبارات جغرافية وتاريخية وبالقدر الذي تسعنا فيه المصادر المتاحة.

إن أقدم رسمة متاهة عثر عليها في سياق أثري وثابت تاريخها تعود إلى ١٣٠٠ قبل الميلاد، حيث وجدت رسمتان لمتاهتين كلاسيكيتين على كسرتين فخاريتين في تل رفاعة إلى الشمال من حلب (شكل ١) (Seton Williams 1961: 85, plate XL). كذلك عثر على قطعة صلصالية عليها تكوين لولي يعود على الأرجح إلى الفترة البابلية الحديثة، ويتكون هذا التشكيل من مدار لولي مزدوج، يخال للناظر إليه أنه يمثل متاهة كلاسيكية (شكل رقم ٢) <sup>(١)</sup>.

إن من الصعب إعطاء تاريخ محدد لأقدم الرسومات الصخرية التي تظهر المتاهة، لقد وجدت المتاهة في رسم صخري من سردينيا Sardinia يؤرخ إلى ٢٣٠٠ قبل الميلاد (Hofer 1996: 63) (شكل ٣) وفي رسمين صخريين من Tintagel في بريطانيا يعودان إلى ١٨٠٠ - ١٤٠٠ قبل الميلاد (Hermann 1999: 95) (شكل رقم ٤)، وتظهر أيضاً في الرسومات الصخرية من منطقة Val Camonica في إيطاليا تعود إلى ١٧٥٠ - ١٦٠٠ قبل الميلاد (Anati 1960a: 82, 83) (شكل رقم ٥)، وفي الرسومات الصخرية من منطقة Galicia في أسبانيا (شكل رقم ٦) والتي يصعب تأريخها لكن يرجح أنها تعود للألف الثاني قبل الميلاد <sup>(٢)</sup> (Behn 1962: 14) وتظهر المتاهة في رسم من قصر نستور في Pylos اليونان يؤرخ إلى ١٢٠٠ قبل الميلاد (شكل رقم ٧) وفي رسم على إبريق تروسكي يعود إلى القرن السابع قبل الميلاد (شكل رقم ٨). والمتتبع لهذه المتاهات يجد أنها قد نقشت بشكليها الدائري (الكلاسيكي) والمربع على مسكوكات كريتية في <sup>(٣)</sup> Knossos تعود إلى ما بين ٤٣١ إلى ١٠٠ قبل الميلاد كما في الشكلين رقمي (٩، ١٠) Hermann 1999: 66, 67; Roscher. 1965: 1779). وكذلك تظهر في رسم صخري من بومبي Pompei إيطاليا يؤرخ إلى ٧٩ ميلادية، حيث كتب بجانبها نقش مستوحى من أسطورة الملك مينوس «Labyrinthus- hic habitat Minotaure» «يترحم: "المتاهة هنا يسكن الثور الخرافي"» (Engler 2003: 170) (شكل رقم ١١).

(١) لقد اعتبر الباحثون هذا التكوين اللولي المزدوج - مداريه حيث يغيران اتجاههما في المركز - أنه يمثل أحشاء أضحية حيوانية واستعمل كرمز في الطقوس الكهنية وأنه لا يمثل متاهة، انظر. (Hermann 1999: 34, 28 fn. 38)

(٢) لقد تم إنشاء تكوينات المتاهات على أرضيات الكنائس، ولم يعثر على أي أثر يدل على أنها مثلت على أرضيات المعابد من قبل (WeiBmann 2002: 182).

(٣) من الصعب تأريخ الرسومات الصخرية، فنجد اختلافاً بين الباحثين في ذلك، فقد رد Hermann الرسومات الصخرية في منطقة Val Camonica بين ٧٥٠ - ٥٥٠ قبل الميلاد وكذلك الرسومات في Galicia بين ١٥٠٠ - ١٢٠٠ قبل الميلاد.

وكذلك نفذت تشكيلات المتاهات على أرضيات بعض المباني الدينية في أوروبا كالموجودة في فرنسا في بازيليك St. Quentin والتي يعود تاريخ بنائها بين ١١٩٥ و ١٤٧٥ ميلادية وكذلك في كاتدرائية Chartres والتي تعود إلى ١٢٥٨ ميلادية<sup>(١)</sup>.

لقد أخذت فنون المتاهات بالظهور في العصور الوسطى في تصاميم الحدائق حيث نفذت بتنسيقات نباتية، ومنذ القرن السادس عشر أقيمت تشكيلات المتاهات في شمال أوروبا على بعض القبور، وذلك لاعتبارات دينية فلسفية، وتتجه مداخل هذه المتاهات إلى الغرب (أي جهة مغيب الشمس) ، ففي السويد نجد أكثر من ثلاث مائة متاهة؛ حيث نفذ بعضها بالحجارة والبعض الآخر بتشكيلات نباتية، وكذلك في ألمانيا نجد من هذه المتاهات واحدة في بلدة Graitschen وقد اتخذ شكل المتاهة لاحقاً- منذ ١٨٤٠ ميلادية إلى ١٩٩٧ ميلادية- شعاراً للبلدة (شكل رقم ١٢ ، وأود هنا أن أشكر السيد Edgar Eisenschmidt مسئول البلدة لتزويدي بالمعلومات والصور. ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى شيوع رسم المتاهات في الكتب الدينية خاصة المسيحية واليهودية وكتب التاريخ وعلم الفلك والجغرافيا، فقد ظهرت رسمة متاهة دائرية (كلاسيكية) في مخطوط كتاب البيروني عن الهند والذي يعود إلى ١٠٤٥ ميلادية، ( شكل رقم ١٣ ). ( Hermann 1999: 425, 426 ) كذلك نجد في الإرث المعماري في دمشق متاهة مائية في قصر العظم والتي تعود إلى ١٧٤٩ ميلادية (Stierlin 2002: 215).

أما ما جاء في الرسومات الصفوية من تكوينات تمثل المتاهة، ففي مجموعة النقوش التي نشرها Littmann سنة ١٩٤٣ ميلادية، لم يظهر في التفريغ اليدوي ( الرسمة) للحجر الذي يضم النقش رقم ٣٢٥ ( شكل رقم ١٤ ) رسمة متاهة، وهذا ما تظهره الدراسة التي قام بها كل من M. C. A. Macdonald و M. Mu'azzin و L. Nehmé سنة ١٩٩٦ ميلادية، حيث أعادوا مسح المنطقة ونشروا النقوش فجاء التفريغ كما في شكل رقم ١٥، فالمدقق في الحجر- الحجر موجود في متحف السويداء- يجد أن هذا النشر لم يكن دقيقاً في تفريغ الرسمة حيث يظهر الأصل رسمة المتاهة واضحة كما في الشكل رقم ١٦. والشاهد الثاني لرسمة المتاهة عشر عليه في وادي درهم/ سوريا (Ababneh 2005, 1107) كما في الشكلين رقم ١٧ و ١٨، والشاهد الثالث لرسمة المتاهة في الرسومات الصفوية وجدده الزميل رافع حراحشه في وادي رعيله/ البادية الأردنية فزودني بالصورة وسمح لي مشكوراً باستخدامها في هذا البحث ( شكل ١٩ ).

وكذلك من إرث النقوش والرسومات العربية الشمالية القديمة ما نشر في ( WH 3129, 3130 ) ، والذي قد يمثل متاهة، لكن يتعين الرجوع إلى الصورة للتحقق من صحة التفريغ، انظر ( ababneh 2005: 80, 81 )

إن رسوم هذه المتاهات تعد- حسب طريقة تشكيلها- من المتاهة الكلاسيكية أو ( الكريتيية ) التي عمادها المصليب، كما على المسكوكات الكريتيية، فمن الواضح انتقالها من خلال هذه المسكوكات، الأمر الذي يشير إلى الصلة بين هؤلاء البدو وبمن جاورهم سواء العلاقات التجارية أو السياسية.

ليس من شك في أن للرسومات الصخرية العربية الشمالية القديمة ( المخريشات ) قيمة علمية كأحد أهم المصادر في الدراسات التاريخية والأثرية والبيئية لشمال الجزيرة العربية، لذا يتعين على الباحثين في مجال توثيق الرسومات والنقوش الجدية في توثيق كل المخريشات بدقة ونشرها للبحث. فعندما تتعدد شواهد رسمة فهذا يعني أنها ذات معنى ودلالة تستحق البحث.

(١) استمدت متاهة مدينة knossos شهرتها من أسطورة الملك مينوس مع الوحش وكذلك قصره المشيد في المدينة حيث؛ جرت أحداث الأسطورة في (

## المراجع

- Ababneh, M. I. 2005. Neue safaitische inschriften und deren bildliche Darstellungen, ( Semitica et Semito-hamitica Berolinensia 6). Shaker Verlag. Aachen.
- Anati, E. 1960 a. La civilisation du Val Camonica. ( Mondes Anciens 4). B. Arthuad. Paris.
- 1960 b. La Grande Roche de Naquane. Masson et C<sup>IE</sup>. Paris.
- 1994. Word Rock art, the primordial language, ( Studi Camuni vol. 12). Centro Camuno di Studi Preistorici. Capo di Ponte.
- Behn, F. 1962. Zur Problematik der Felsbilder. Akademie Verlag. Berlin.
- Castleden, R. 1990. The Knossos Labyrinth, A new view of the ' palace of Minos ' at Knossos. Routledge. London.
- Engler, M. 2003. Labyrinth, Magische Linien von Menschenhand, Terra X, vom Geheimbund der Assassinen zum Brennpunkt Qumran, ed. By H. Lippert. München: Hayne. pp. 168- 211.
- Hermann, K. 1999. Labyrinth: Erscheinungsformen und Deutungen; 5000 Jahre Gegenwart eines Urbilds, 4<sup>th</sup> edition. Prestel. München.
- Hofer, H. G. 1996. Höhlen als frühe Observatorien, Die Entschlüsselung des Labyrinths?. Jost- Jetter Verlag. Heimsheim.
- Littmann, E. 1943. Safaitic Inscriptions, ( Publications of the Princeton University Archaeological Expeditions to Syria in 1904- 1909, Division I. Section C). Brill. Leiden.
- Macdonald, M. C. A. ; Mu'azzin, M. ; et Nehmé. L. 1996. Les inscription safaitiques de Syrie, cent quarante ans après leur découverte, Comptes rendus de l'académie des inscriptions, Janvier de l'année, pp. 435- 494.
- Roscher, W. H. 1965. Ausführliches Lexikon der griechischen und römischen Mythologie, II. Georg Olms. Hildesheim.
- Seton Williams, M. V. 1961. Preliminary Report on the excavations at Tell Rifa'at. Iraq XXIII: 68- 87.
- Stierlin, H. 2002. Türkei von den Seldschuken zu den Osmanen. Taschen. Köln.
- Weißmann, K. 2002. Mythen und Symbole. Edition Antaios. Dresden.
- Winnett, F. V. , and Harding, G. L. 1978. Inscriptions from Fifty Safaitic Cairns, ( Near and Middle East Series 9). University of Toronto Press. Toronto.

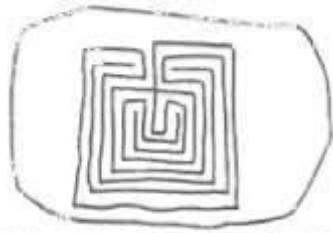
## الأشكال



شكل رقم (٥)



شكل رقم (٦)

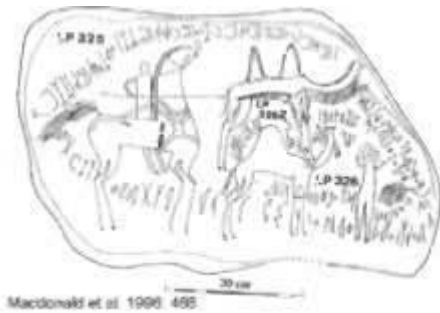


Pylos, Høfer 1996: 63 ca. 1200 v. Chr.

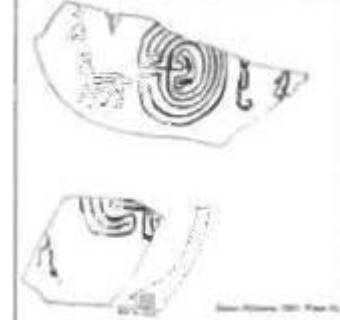
شكل رقم (٧)



شكل رقم (٨)



Macdonald et al. 1996: 495



شكل رقم (١)



شكل رقم (٢)



شكل رقم (٣)



شكل رقم (٤)



شكل رقم (٩)



شكل رقم (١٠)



Pompeii, Engler 2003, 170 (79 n. Chi.)

شكل رقم (١١)



شكل رقم (١٢)



شكل رقم (١٣)

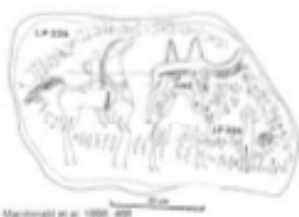


شكل رقم (١٤)

شكل رقم (١٥)



شكل رقم (١٦)



Mackintosh et al. 1999: 400

شكل رقم (١٧)



شكل رقم (١٨)



شكل رقم (١٩)

# **Labyrinths in the ancient north Arabian rock drawings**

**Mohammad I. Ababneh**

Department of Semitic studies/ Assistant Professor/ Free University of Berlin

( Dates of Receipt 11/ 11/ 1429 H; date of publication 12/ 4/ 1430 H)

## **Abstract.**

This research presents and analyses three Drawings of Labyrinths, which are found in Syrian and Jordanian steppe. Also this study discusses the historical development of forms and the functions of the Labyrinth Drawings, not only on the rock Drawings, but also on Ceramic and Coins. It appears that the Labyrinth drawing in north Arabian refer concerning its forms to the Cretan Labyrinth( Classic Labyrinth). These Drawings present new themes on the fields of Studying Epigraphy as one of the main resources in history and culture of north Arabian.